الأدب الساخر في قصص سلمان ناطور

سلمان ناطور، **الشجرة التي تمتد جذورها إلى صدري، قصص**، عكا: دار الأسواق، بلا تاريخ،

في مقدمته لمجموعة سلمان ناطور القصصية: «الشجرة التي تمتد جذورها إلى صدري»، قال الدكتور اميل توما أن الأدب الساخر، يقوم بدور «الكاريكاتير السياسي ــ الاجتماعي في ميدان النثر»، وإنه لم يولد نتيجة الخوف من السلطة، بل «ابتكره ادباؤنا لأنه كان سلاحاً قوياً في مقاومة الاضطهاد القومي، واسلوباً ناجعاً في سحق أعوانه واسقاطهم عن عروشهم» (ص ١٥).

وسلمان ناطور، كاتب فلسطيني يعمل محرراً في مجلة «الجديد»، التي تصدر في حيفا. وله أربعة كتب هي: «آراء ودراسات في الفكر والفلسفة»، مجموعة مقالات، ١٩٧١؛ و«ما وراء الكلمات»، قصص، ١٩٧٢؛ و«انت القاتل يا شيخ»، رواية، ١٩٧٦. وسيصدر له في بيروت، كتاب جديد بعنوان: «أبو العبد يغازل مدام مندلوفيتش في قلعة زئيف».

ويستمد هذا اللون من الأدب، الذي لفت النظر اليه وجلس على قمته الاستاذ اميل حبيبي، سخريته من الواقع، ولكن «ملاحظة الواقع، بحد ذاتها، ليست كل الطريق إلى الواقعية، فالواقعية شيء أكبر من ذلك»، كما يقول صولت ريديكر.

ورغم ادراك سلمان ناطور، في مجموعته الجديدة، للتمايز بين الواقعية والوقائع، فإنه سعى جاهداً لانقاذ واقعيته من السقوط في الطبيعية والانعكاس الفوتوغرافي. وبذل مجهوداً كبيراً في الصاق بعض اللحم والحياة على قصص الأفكار، حتى لا تبدو كتعليق أو مقال.

القضية التي تطمح إليها المجموعة، عبر تشكيل بانورامي على مساحة واسعة، هي اعلان الهوية الوطنية، وتلك ميزة تبلورت في الأدب الفلسطيني، في السنوات العشر الأخيرة. وهي، هنا، ليست نبتة خارج الحقل، إنها تواصل ما أسسه محمود درويش وتوفيق زياد وسميح القاسم، في ميدان الشعر، وما تعملق به اميل حبيبي، في ميدان النثر (السداسية والمتشائل ولكع)، وبعض نتاجات محمد نفاع ومحمد علي طه.

والمشكلة المزدوجة تتمثل في أن هذا الأدب، الذي يتنفس ويعيش ويتقدم، في ظل ظروف شديدة الخصوصية في شذوذها (التماثل مع جنوب افريقيا)، يحمل اشكاليته في الاشكال الأدبية وفي مضامينها معاً. فالممارسة السياسية، في مثل هذه الظروف، هي ممارسة مركبة ومعقدة، وبالتالي فإن صورتها الأدبية الناجحة، هي صورة مركبة وأكثر تطوراً وتقنية. والانعكاس البسيط، في هذه الحالة، لا يقدم سوى صورة باهتة للواقع، تلهث خلفه، ولا تؤثر فيه. فيما الأدب الساخر، في اعتماده الجملة الواقعية، في استقامة معناها أو في قلبه، يضمن لنفسه ليس التماس مع الواقع فقط، بل الغوص فيه ونقله